

الحقيقة المحمدية والعالم المحمدي

للاستاذ حسني طه شكيان

٣ — كون النور والضياء

الوجود وضياء الوجود وبهاء الوجود
ورحمن الوجود :

الله نور السموات والأرض .
حقيقة تضع الإنسان في مقامه ،
وتكلفه من الأعباء أحمالاً جساماً

— هو لها وهي له — أعباء أشقت
منها السموات والأرض والجبال
— على عظم شأنها — وحملها الإنسان
وهو بانصرافه عن حقيقة قدره يغفل
عن رسالته ؛ ويتهاون في حل أماته
« إنه كان ظلوماً » لنفسه فما عرفها ،
« جهولاً » برسالته فما وعها ولا قام
بها : « إنما عرضنا الأمانة على السموات
والأرض والجبال فأبين أن يحملنها
وأشفقن منها وحملها الإنسان إنه كان
ظلوماً جهولاً » .

وإن هذا الصوت الحق في مجال
المعرفة ، بعد ما أقام الله على الإنسانية
من كشف في آيات الوجود المادي
— في عصر الذرة والالكترون

من النور بدأنا ، وإلى النور
تعود : والله نور السموات والأرض .
من فيض الحق نبعنا ، وإلى رحاب
الله نعود : « إنا لله وإنا إليه
راجعون » .

من روح الكريم انطلقنا في الوجود
نخلفاء بأمره ، وأسجد لنا ملائكته
الكرام وعلما من فيضه الأزلي
النوراني ، علم الأسماء كلها من فوق
سلافة الملائكة ، ومن مجال أرقى :
« إني جاعل في الأرض خليفة » .
« وعلم آدم الأسماء كلها » .

« فإذا سويته ونفخت فيه من
روحي فقعدوا له ساجدين ، فسجد
الملائكة كلهم أجمعون » .

تلك حقيقة الحقائق لمن أراد أن
يذكر أو أراد شكوراً ، لمن أراد
تنموا لا حد له ، وعلماً لا حصر فيه ،
وسمياً مع النور في آفاق النور آية
من النور الأعظم رب الوجود ومملك

شيء في المادة ، فتمتظر أروع طاقة
وأجل سمو في طاقة النفس وآفاق
العقل وسمو الروح ، ولأمر ما قال
الحق الأعظم : فإذا سويته ونفخت
فيه من روحي ، ودعانا للغوص في
أعماق محيط النفس : « وفي أنفسكم
أفلا تبصرون . »

السكون في القرآن الكريم :

ومن قبل أعلن القرآن الكريم
وحدة بداية السموات والأرض في
طبيعة واحدة تطورت نحو الكمال في
سنة أطوار : « أولم ير الذين كفروا
أن السموات والأرض كانتا رتقاً
ففتقنهما وجعلنا من الماء كل شيء
حى ، أفلا يؤمنون . »

والخطاب في حقيقة لكسفار اليوم
الذين يرون بعلومهم روعة الصنعة ثم
يحجدون قدرة الخلاق العظيم . وقال :
« الذى خلق السموات والأرض وما
بينهما فى ستة أيام ثم استوى على
العرش الرحمن فاسأل به خبيراً . »
ونحن لانرى من السموات شيئاً وإنما
نرى زينة السماء الأولى من نجوم
وشمس وكواكب ، ولقد زينا السماء
الدنيا بمصابيح ، « إنما زينا السماء الدنيا
بزينة السكواكب . » ، والأرض نفسها
سبعة أطياف في عوالم المادة متسامية

والطاقة — عصر النور والضياء
ذلك ليطالع الإنسان على حقيقة :
نوره في المادة ونوره في العقل والنفس
وفي الروح . جسده من المادة ،
والسكون المادى بشموه وأقاربه
وكواكبه من السكواكب والنور جسده
الحى — خلاصة هذا النور ، وعقله
ونفسه رقائق هذا الضياء ، وروحه
حقيقة النور في أدق معانيه وأروعها !
لقد بهرت الإنسانية كشفها في
مجال المادة والطاقة ، فكيف تعمى
بالمظهر عن الخبير ؟ بالذى يقنى ويتحول
عن الحى الخالد الذى يرقى ويتصعد ؟
فلتأت آيات الله فى النفس والكيان
الحى ، كما تات فى الآفاق المادية
« ليعلموا أن الله على كل شيء
قدير ، وإن الله قد أحاط بكل شيء
علماً . »

« منبرهم آياتنا فى الآفاق وفى
أنفسهم حتى يتبين لهم أنه الحق . »
« يعلمون ظاهراً من الحياة الدنيا
وهم عن الآخرة هم غافلون . »
فليكن شعار الإنسانية منذ اليوم :
ماذا فى الكيان النفسى والعقلى ؟ ماذا
فى الكافة الروحية التى استمدت
شعاعها من نور الوجود الأعظم . ؟
فاذا أمسكت بأنفاسها بهراً ودهشة
أمام طاقة الذرة المستقرة فى أصغر

لأنذرهم : ، والله الذى خلق سبع سموات ومن الأرض مثلهن ينزل الأمر بينهما . ، فليس هناك فراغ لا فى أرض ولا فى سماء ولا فيما بينهما ، ويخاف ما لا تعلمون ، ، فلا أقسم بما تبصرون وما لا تبصرون ،

وبداية الكون المادى من طبيعة النور حقا كما يقول العلم المادى : ، الله نور السموات والأرض . ،

« ما ترى فى خلق الرحمن من تفاوت . » وفى القرآن حديث الذرة وما هو أصغر منها ، لا يعزب عنه مثقال ذرة فى السموات ولا فى الأرض ولا أصغر من ذلك ولا أكبر إلا فى كتاب مبين ، ، وكل شئ عنده بمقدار ، ، والسموات تعجب بسكانها من خللاق النور : ، تكاد السموات يتفطرن من فوقهن والملائكة يسبحون بحمد ربهم ويستغفرون لمن فى الأرض ألا إن الله هو الغفور الرحيم ، ويقول الرسول الكريم :

« خلق الله الملائكة من النور ، وأجنان من مارج من نار ، وآدم مما

وصف لكم .. ، وفيما وصفه القرآن الكريم لنا عن الإنسان نبهت : ، وفى أنفسكم أفلا تبصرون ،

الإنسان والنبوات فى القرآن :

ولا نجد أروع بيانا من قول الله العظيم للملائكة عن الإنسان : « إني جاعل فى الأرض خليفة . » ، فإذا سويته ونفخت فيه من روحي فقعوا له ساجدين ، وجعل الكون جميعا فى خدمته ومجالا لتسخيره ، وبحته : « وسخر لكم فى السموات وما فى الأرض جميعا منه . » ، والملائكة من جنوده ، إذ يوحى ربك إلى الملائكة أنى معكم فثبتوا الذين آمنوا سألنى فى قلوب الذين كفروا الرعب فاضربوا فوق الأعناق واضربوا منهم كل بنان . ، وهم أولياء المؤمنين فى الحياة الدنيا وفى الآخرة ويستغفرون لمن فى الأرض ، والله العظيم يصلى معهم على المؤمنين ليخرجهم من الظلمات إلى النور — حقيقة كيانهم الأول —
— ونفخت فيه من روحي — الله

نور السموات والأرض ومن هنا
ظهرت شفافية المؤمنين النورانية في
الدنيا .

والناس في درجة نورانيتهم
متفاوتون بقدر ما أحسوا بكيانهم
النوراني العظيم ولذلك قال الرسول :
« من عرف نفسه عرف ربه . »
والأنبياء أجل الناس قدراً ،
وأعرفهم بحقيقة كيانهم النوراني ،
وأرفعهم مكانة لدى نور الوجود
الأعظم ، فلكل نبي سماء يقعد
أستاذاً بها لسكانها من خلائق الله
الكريم من السماء الأولى حتى السابعة
حيث يجلس فيها إبراهيم الخليل كما
ورد في حديث الإسراء . « تلك
الرسل فضلنا بعضهم على بعض منهم
عن كلم الله ورفع بعضهم درجات ،
وآتيناه عيسى بن مريم البينات
وأيدناه بروح القدس . »

ولكن واحداً منهم تعلن حقيقة
النورانية في الدنيا قبل الآخرة في
أروع مقام :

محمد الكريم في الوجود :

« يا أيها النبي إنا أرسلناك شاهداً
ومبشراً ونذيراً ، وداعياً إلى الله

بإذنه وسراجاً منيراً . » فكم جعل
الشمس سراجاً للمجموعة الشمسية
بها حياتها ونورها وتطورها فكذلك
جعل محمداً سراج الحياة ، ونور
الهدى ، وهو لذلك الداعي الأكبر
إلى الله بإذنه ، وهو الشهيد الأعلى
على الكائنات كلها ، وقال :

« قد جاءكم من الله نور وكتاب
مبين . » فالنور هنا هو السراج في
الآية السابقة وكتاباً روح الهدى ،
ونور السلوك إلى الله في معارج
السجالات :

« وكذلك أوحينا إليك روحاً
من أمرنا ما كنت تدري ما المكتاب
ولا الإيمان ، ولكن جعلناه نوراً
نهدي به من نشاء من عبادنا ۝ ۱۱ . »
« فالذين آمنوا به وعزروه
ونصروه واتبعوا النور الذي أنزل
معه أولئك هم المفلحون . »

وفي التعبير بأنزل معه حكمة رائعة
لمن أراد ، فهو قبل أن يشرق نوره
على الأرض في الثوب البشري كان
هناك في عالم النور عند الله قبل
السكانات ، مع أنوار النبوة الهادية
حيث أخذ الله على الإنسانية ميثاقاً :
« أليس بربكم ؟ قالوا بلى شهدنا . »

حتى نزل عليك في القرآن : إنه لقول
رسول كريم . ذى قوة عند ذى
العرش مكين . مطاع ثم أمين .

نتيجة النتائج :

فإذا كان الكون المادى والسموات
من النور بداءة وحقيقة وعلماً
وقرآنا . فالإنسان قبس كريم من
روح الله ونوره وبذلك علم العلم كله
بدهأ دون الملائكة ، وبذلك صار
خليفة الله المقصود من خلق الكون
كله والمسخر فى خدمته ولرقبه :
وما خلقت الجن والإنس إلا
ليعبدون ، والانبياى فى موكب النور
الإنسانى العظيم قادة وأساتذة الوجود
العاقل فى الأرض والسموات ومحمد
السكريم القائد الأعلى ، والشهيد
المشهود ، ونور الله السارى فى
الضباط والأرواح حبا لله وشوقاً
إليه ، الذى يراك حين تقوم وتقلبك
فى الساجدين ، فمن لم يصدق بحديث
أوليه النور المحمدى لجابر الأنصارى
فليصدق بالعلم وبقول الحق الأعظم :
« وسراجا منيراً » ، قد جاءكم من
الله نور وكتاب مبين ،

وحيث أخذ على الانبياء ميثاق
تكريم أكبر لحبيبه محمد : « وإذا
أخذ الله ميثاق النبين لما آتيتكم
من كتاب وحكمة ، ثم جاءكم رسول
بمصدق لما معكم لتؤمنن به ولتنصرنه
قال : أأقررتم وأخذتم على ذلکم
إمصرى ؟ قالوا : أقررنّا . قال :
فاشهدوا وأنا معكم من الشاهدين . .
ونظيره أروع موقف للتكريم
يوم يقوم الناس لرب العالمين :
فكيف إذا جئنا من كل أمة بشهيد
وجئنا بك على هؤلاء شهيداً ، موقف
الأزل وموقف الأبد ، وليس ذلك
بعجيب على من جعله الله رحمة
للعالمين أجمعين : « وما أرسلناك إلا
رحمة للعالمين » ، وكتابه كذلك للعالمين
أجمعين : « تبارك الذى نزل الفرقان
على عبده ليكون للعالمين نذيراً . .
والعالمون هنا هم العالمون المربوبون
برحمة الله والمطالبون بحمده : « الحيد
الله رب العالمين . . عوالم الكون
المادى والسموات وما فوق السموات
بما لا يعلمه إلا الله . . . حتى ليقول
جبريل الأمين وما الرحمة التى
وصلتك منى يا أخى يا جبريل ،
فيقول : والله ما أظمأنت على نفسى